تجليات المنهج النقدي في مقالات غادة السمان: مقالة "فضيحة البروفيسور الذي أعاد كتابة القران على هواه "نموذجا

د. بلال أحمد يتو[١]

الملخص

لم يضعف منهل الفكر العربي قط، ولم يقل عدد مفكريه، غير أنه ظل يعاني من غياب المنصة الملائمة ليجتمع المفكرون عليها حتى يبدأ دور النقاش والنقد، والأخذ والرد فتصفو الأفكار ويخرج فكر سوي تتلاقى عليه آراء المفكرين والأدباء. وقد عانت الآداب العالمية، بما فيها الأدب العربي، من هذه المشكلة حتى بدأت مرحلة جديدة في الأدب بولادة المطابع، مع افتتاح المطابع وصدور الصحف والجرائد والمجلات، ومع انتشار الصحافة في الدول العربية أخذها الأدباء كمنصة يجتمعون عليها ويناقشون الآراء والأفكار مباشرة، فغدت الصحف والمجلات تقوم بدور المقاهي (التي يجتمع فيها الناس ويتحدثون في الأحداث الجارية) غير أنها كانت مخصوصة بالكتاب والمثقفين، وهكذا بدأ المفكرون ينتقد بعضهم آراء بعض، حتى نشأت المدارس الأدبية والفكرية الجديدة وأحسن مثال على ذلك مدرسة الديوان الذي أسسه عباس محمود العقاد وإبراهيم المازني وعبد الرحمن شكري وإبراهيم عبد القادر في الربع الأول من القرن العشرين[٢]. وبهذه الطريقة منحت الصحف فرصة ذهبية للنقاد أن يناقشوا أفكار الآخرين كما أعطتهم الفرصة ليراجعوا النصوص

---

١ الأستاذ المساعد التعاقدي، الكلية الحكومية كلهوتران، بهليسة، جامو وكشمير، الهند

٢ جواحي عبد اللطيف، القضايا النقدية في كتاب الديوان وأثرها في الحركة النقدية الحديثة، ص١٠

العربية المختلفة، ولم ينحصر هذا النقد الإيجابي البناء إلى النصوص الأدبية فحسب، بل أصبحت الصحافة وسيلة مهمة لمناقشة كل فكر ونظر يهم الشعب العربي فدخل في طياتها الدين، والفن، والسياسة والحقوق وأصبحت الصحافة مدرسة مفتوحة لتثقيف الناس كما غدت سلاحا معنويا في مواجهة مؤامرات الأعداء. ولم نجد في العصر الحديث من المفكرين والمصلحين من لم يستخدم الصحافة والمقالة وسيلة لعرض أفكاره وتقديم آرائه إلا عدد قليل منهم، ولم تتخلف الأديبات العربيات عن هذا المجال بل اتخذن الصحافة منبرا لعرض أفكارهن، ومن أشهرهن: نوال السعداوي، وبنت الشاطئ، وغادة السمان. تحتل غادة السمان مكانة مرموقة من بينهن، إذ تناولت في مقالاتها الصحفية معظم القضايا الفكرية، من السياسة والدين والنسوية وغيرها. ولها عدد غير قليل من المقالات النقدية التي تكشف الستار عن مؤامرات الغرب ضد العالم العربي ومن بينها " فضيحة المخرج الذي شوه روح القرآن"، اقرأوا هذا الكتاب القذر!، حذار من السياحة فوق الجرح العربي، صفارة إنذار داخل رأسي[١] وغيرها من المقالات النقدية، وليس من الممكن مناقشة موضوعات كل هذه المقالات في هذه الدراسة، لذلك اكتفينا بتحليل مقالة واحدة منها وهي " فضيحة البروفيسور الذي أعاد كتابة القرآن على هواه".

الكلمات المفتاحية: المقال النقدي، غادة السمان، خصائص المقالة، الصحف والمجلات، المقالة الأدبية، الأدب العربي، الأفكار النقدية.

مفهوم المنهج النقدي

لفن المقالة دوره الفعال في تنوير الوعي الثقافي بين شعب العربي كما له دور حيوي في نشر العلوم الجديدة في العالم العربي الجديد، وكان السبب الرئيسي وراء ازدهار المقالة في العالم العربي شمولها لمجالات العلم والفكر كلها، ونطاقها الواسع

١ نشرت هذه المقالات في مجموعة مقالة المسمى ب" صفارة إنذار داخل رأسي"

الذي منح لها فرصة أن يحتوي في أحشائها جميع الفنون، ومع مرور الزمن بدأ المفكرون أن يكتبوا المقالات الفكرية يقدمون فيها أفكارهم الحديثة، كما أخذ الأدباء فن المقالة لعرض أفكارهم المبتكرة بلون أدبي، وكتب رجال الدين مقالات دينية لنشر علوم الدين، وأخذه السياسيون وغيرهم لنشر أفكارهم وأغراضهم المقصودة، فظهرت المقالات من ألوانها الشتى وأصبحت لها أقسام وأنواع ومنها: المقالة الدينية، المقالة الأدبية، المقالة السياسية، المقالة النقدية، المقالة الساخرة، المقالة الإعلامية وغير ذلك.

يحتل المقال النقدي مكانة ملموسة من بين أنواع المقالة وذلك لكونه ميزانا لكل فكر وفن، وكما ذكرنا آنفا أننا سنقوم بدراسة مقالة نقدية في هذه المقالة فيجدر بنا أن نوضح معنى المقال النقدي وهو كما عرفه فرح عبد الغني قائلا:

" المقال الذي يقوم على عرض وتحليل وتفسير وتقويم ما يتم إنتاجه، سواء كان هذا الإنتاج أدبيًا أو علميًا أو فنيًا؛ وذلك من أجل بناء منظومة وعي لدى القارئ بمدى أهمية هذا الإنتاج والعمل على إثرائه معرفيًا لانتقاء الإنتاج المناسب بالنسبة له في المجال الذي يُريده، ويكون ذلك من خلال المعايير التي يضعها النقاد[١]"

من هذا التعريف الموجز اكتشف لنا أن مهام كاتب المقال النقدي هو تحليل وتقويم الإنتاج سواء أكان هذا الإنتاج أدبيا أو علميا أو أي شيء آخر، ونستطيع

١فرح عبد الغني وإشراق الدهون، خصائص المقال النقدي،٠٩\٠٦\٢٠٢٤

https://mawdoo3.com/%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B5_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D8%AF%D9%8A

القول إن كاتب المقال النقدي يعالج المواقف ويحللها ويحاول أن يعرف مدى صحتها والعمل بها، ويعالج الحوادث ويحاول أن يعرف سبب الحوادث وغايتها. وبهذا المنطلق يمكننا أن نتصور وسعة إطار المقال النقدي. وكما عرفنا سابقا أن صاحب المقال ليس حرا في نقد الإنتاج حرية مطلقة حتى يتعدى على أعراض الناس ويفرط في نقده بل هو ملتزم بالقوانين التي وضعها علماء هذا الفن، ولمعرفة مشاركة الكاتب أثناء كتابة المقال سيساعدنا فرح عبد الغني وإشراق الدهون في معرفة دور الكاتب فيها:

> " يُمكن لكاتب المقال النقدي تقديم انطباعه وتضمينه في نهاية المقال، فالمقال النقدي لا يقتصر على تطبيق مجموعة من القواعد الميكانيكية الصارمة بل يحتاج إلى إبراز ذاتية الكاتب في المقال، فهو تمازج بين علمٍ وفن، فهو علم من حيث نظرته إلى العالم وفن من حيث إضفاء ذاتية الناقد إلى المقال"[١]

"ابرزا ذاتية الكاتب" هذه الكلمات التي تجذب انتباهنا خلال قراءة هذا النص تشير إلى أهمية بروز شخصية الكاتب في مقالته النقدية، وفي هذا الموضع تتجلى خصائص المقالة النقدية الأخرى، ومن أولها امتزاج بين الموضوعية والذاتية حيث يأتي الكاتب بأدلة منطقية ليثبت وجهة نظره وفي نفس الوقت يبرز ذاته ومواقفه في النص ويقدم آرائه الذاتية حول الموضوع. فالمقالة النقدية هي مقالة تحليلية،

---

١ فرح عبد الغني وإشراق الدهون، خصائص المقال النقدي،٠٩\٠٦\٢٠٢٤

https://mawdoo3.com/%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B5_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D8%AF%D9%8A#cite_note-8e216e91_d1e5_4ec9_846f_02c036f6d6f5-4

وظيفتها الشرح للقارئ بشكل توضيحي قد يكون فيها تأييد لأفكار ما أو مخالفة لأفكار أخرى ويجب أن يكون الكاتب موضوعياً ويقدم الدليل إن كان مؤيداً أو مخالفاً وإلا نزعت صفة النقد الموضوعي عن المقالة. وحسب السيد مرسي يحلل المقال النقدي مذهبا أدبيا تحليلا واعيا، أو ينقحه معتمدا في ذلك على النظريات الأدبية السائدة، وتتوقف قدرة الكاتب على تذوقه للعمل الأدبي، وتعليل الأحكام وتفسيرها. ويشترط فيه أن يكون ذا موضوع واحد، وتأتي أحكامه واضحة، ويتجرد النقاد خلاله من أحقاده، ويتوخى العدالة في أحكامه، وأن يكون عالما بالمثل العليا قبل التعرض لأي فكرة أو عاطفة أو أسلوب[١].

خصائص المقالة النقدية

مما لا شك فيه أن المقالة النقدية تتشابه أقسام المقالات الأخرى شكلا وقالبا، ولكنها تمتاز بخصائص لا نرى ظهورها في أقسام المقالات الأخرى ومن الأجدر أن نسلط الضوء على خصائصها التي تفردها عن أخواتها الأخرى وفيما يأتي بينان خصائصها بالإيجاز:

- وصف الجوانب المختلفة في العمل الفني أو الأدبي مضمونًا، وشكلًا.
- خضوع رؤية المبدع للتقييم، وذلك من حيث مضمونها، وشكلها وفق بعض الأسس الفنية، والأدبية المتعارف عليها في هذا الوسط.
- القيام بإبراز جميع مميزات وأصالة هذا العمل، وذلك في طريقة أداء هذا العمل الإبداعي سواء فني أو أدبي، كما تعمل على إبراز نواحي التكرار أو التقليد الموجودة فيه.

١ أبو ذكرى مرسي، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، ص٧٧

- القيام بعقد مقارنة بين رؤية المبدع، وأداء الآخرين في عصره، وكذلك عقد مقارنة بين رؤية المبدع، وأداءه في أعماله الفنية أو الأدبية الأخرى مع مراعاة كل ما يخص المدرسة الفنية، والأدبية التي ينتمي إليها.
- القيام بتقديم شامل لهذه الثقافة الفنية والأدبية بشكلٍ راقي للجمهور، مع تضمنها لتعريف الأعمال الأدبية، والفنية من حيث الرؤية، والأدوات، والتيارات الفنية، والأدبية بهدف تكوين حس فني، وأدبي لدى القارئ يساعده على التذوق بشكل إيجابي مما يساعده في تنمية ثقافة المجتمع، وتطويرها على المدى البعيد[١]

غادة السمان ومقالاتها النقدية

ولدت غادة السمان في عصر الاضطرابات السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي تركت على وعيها أثرا بارزا[٢]، وقد بدت تلك التجارب بوضوح في كتاباتها الأدبية: الروايات والقصص القصيرة ومقالاتها الصحفية. وظهر هذا الأثر من باكو راتها من المقالات الصحفية حين كتبت في قضايا جارية حاسة في الصحف والمجلات، كتبت في السياسة والمجتمع والتقاليد والتحرر والفكر والأدب والنسوية، والحرب وقضية فلسطين ولم تترك موضوعا حاسا إلا كتبت فيه حتى أطلقت على إنتاجها اسم " الأدب الرجالي "وهذا لأن الكاتبات العربيات في تلك الحقبة من الزمن لم تهمهن إلا القضايا النسوية لكن برزت غادة السمان من بينهن التي أحاطت الموضوعات المتنوعة في كتاباتها كما كان يفعل الأدباء من الرجال. وثمة عدد غير قليل من مقالاتها

---

١ ريم محمد، خصائص المقال النقدي، ١٥\٠٨\٢٠٢٤

٢ عواد حنان، قضايا عربية في أدب غادة السمان، ص ٥٥

التي تنتقد كتاب الغرب وأفلامها وأغانيها وساستها ومنها مقالتها الشهيرة:" فضيحة البروفيسور الذي أعاد كتابة القرآن على هواه" تكتب السمان في هذه المقالة عن الكتابين الإنكليزيين: صحارى/ sahara" و"فصائل تنقرض"\vanishing species. وتنتقد مؤلفي الكتابين على عدم أمانتهم في تصوير العالم العربي وتشويههم للقران الكريم وتحريفه. في هذه المقالة استخدمت الكاتبة الأسلوب النقدي، وفي السطور التالية سنحلل هذه المقالة مراعيا بناء المقالة: المقدمة والعرض والخاتمة.

مقدمة المقالة

من المهارات التي تتجلى من مقالات غادة السمان هي أنها تقود القارئ إلى أعماق موضوع المقالة حيث تختار عنوانا جذابا يلفت الانتباه، وتبدأ المقالة بحديث بسيط وتنجح في إنشاء الجسر بين ذهن القارئ والموضوع الذي تريد طرحه. يتضح لنا هذا خلال دراسة مقالتها "فضيحة البروفيسور الذي أعاد كتابة القران على هواه" فهي تبد الحديث بأسلوب حكائي حتى تصل إلى موضوع جاد يجب الاعتناء به وهو "محاولات تشويه صورة العالم العربي في الغرب من قبل كتاب الغرب". والأسلوب الذي أخذه الكاتبة في سرد هذا الموضوع هو رشيق للغاية فهي تبدأ الحديث كأنها تريد أن تشارك القارئ في تجربتها الحديثة في المتجر ولكنها تصل إلى الموضوع الرئيسي في لحظات قليلة، ومن هنا يتجلى مهارتها في كتابة المقالات الصحفية والعمود اليومية.

الفكرة الرئيسية للمقالة

وكما نعرف أن من أهم المكونات مقدمة المقالة هي شمولها للفكرة الرئيسية التي يريد الكاتب أن يتحدث فيه، ولا نتصور أن تجهل غادة السمان هذا الأمر في مقالاتها، ونرى أنها بدأت مقالتها بمقدمة وجيزة طرحت فيها فكرة رئيسية للمقالة وهي: إبراز المقاصد السيئة وراء كتابة الكتابين (صحارى/ sahara" و"فصائل تنقرض"\vanishing species) وختمت المقدمة بالكلمات الجريئة التالية:

"وحين دفعت الثمن لم أكن أدري أنني أدفع ثمنا كي اقرأ الشتائم توجهها إليّ صفحات الكتابين"[١]

عرض المقالة

وبعد لفت انتباه القارئ إلى الموضوع الرئيسي والفكرة الرئيسية بدأت الكاتبة أن تكشف الستار عن مؤامرات الغرب ودسائسها ضد العالم العربي وشعبه، فتحدثت عن موضوع هذين الكتابين بكل شرح وبسط، واكتشفت أن الغرض الكامن وراء كتابة هذين الكتابين هو تشويه صورة العالم العربي على الصعيد العالمي، كما اكتشفت أن هذين الكاتبين لا يتعدان على العالم العربي فقط بل يتطاولان على المسلمين كلهم وعلى مقدساتهم، فهما في كتابيهما ينسبان الأقوال المزيفة إلى نبي المسلمين عليه الصلاة والسلام ما لا علاقة له بحضرته الشريفة كما ينسبون الكلام البذيء إلى القران الكريم الذي لا علاقة له به. فأنكرت الكاتبة على تصرفاتهما الغبية وترد على أكاذيبهم ردا جادا. وفي هذه المقالة ردت غادة السمان على هذين الكاتبين كداعية إسلامية التي لا تقبل تشويه الدين الإسلامي على أي سعر، فهي تعرف أن التشخص العربي لا يمكن استقراره إلا بالدين الإسلامي ويكتشف لنا أن الكاتبة تتباهى بالحضارة الإسلامية ولا تقوم ضدها بل تساندها بقوتها القصوى. وفيما يلي أهم الموضوعات التي تحدثت غادة السمان عنها في عرض المقالة:

موضوع الكتابين و اكتشاف النو ايا السيئة وراء كتابتهما

تحدثت الكاتبة عن الكتاب " صحارى/ sahara" تأليف " بين غاردي" وأخبرت أن الكاتب لم ينصف المسلمين وتاريخ العالم العربي في كتابه، وذلك لأنه نسب إلى العالم العربي ما لا وجود له فيه، فهو يدعي في هذا الكتاب أن المسلمين في العالم العربي يعيشون في بيئة يغمرها القذارة والأوساخ، ويعيشون في مناطق لا مراحيض فيها ولا

١ السمان غادة، صفارة إنذار داخل رأسي، ص١٣٤

حمامات، كما يتهم أن المسلمين لا يهتمون بالنظافة ولا يغتسلون إلا نادرا. نقلت الكاتبة بعض الفقرات من هذا الكتاب للاستشهاد ومنها قوله: " انهم يعيشون في أحضان الأقذار والوسخات التي لا توصف. المراحيض والحمامات غير معروفة لديهم"[١]

أما الكتاب الثاني" فصائل تنقرضvanishing species" فأخبرت الكاتبة أن هذا الكتاب يحارب العالم العربيويدعم إسرائيل بطريقة غشاشة إذ يدعي الكاتب أن الحيوانات العربية كانت مهددة بالانقراض قبل عام ١٩٤٨ء أي قبل وجود إسرائيل على الصعيد العالمي، وبعد تأسيس إسرائيل استعادت هذه الفصائل الحيوانية النادرة عافيتها وعادت إلى التكاثر لأن الدين اليهودي يحرم أكلها، وبهذه الحجة الغبية أصبحت إسرائيل ملجأ للحيوانات المتوحشة ومن ثم أصبح وجودها ضروريا في قلب العالم العربي.

كشف النقاب عن خيانة الكاتب في نسخ آيات القران الكريم والأحاديث النبوية.

وكما ذكرنا آنفا أن غادة السمان عملت دور الداعية الإسلامية في هذه المقالة حين ردت على خرفات بين غاردي - مصنف الكتاب الصحاري- الذي حاول تشويه آيات القران الكريم حين نسب إليه كلاما لا يوجد فيه ولا يليق به، فمثلا أنه نسب الكلام" الجمل حيوان الله المفضل، من يطعم جمله طعاما نظيفا وجيدا يسجل الله اسمه ويسجل له حسنات بعدد قشاشات التبن التي أطعمها لجمله"[٢]. فردت غادة السمان على كلامه مستهزئة أن هذا الكلام لا يليق أن ينسب إلى القران الكريم وانتساب هذا الكلام إلى القران الكريم يدل على جهل الكاتب وعدم معرفته لموضوعات القران الكريم بل عدم مطالعته حتى مرة واحدة، وظهرت استغرابها على

---

١ السمان غادة، صفارة إنذار داخل رأسي، ص١٣٤

٢ السمان غادة، صفارة إنذار داخل رأسي، ص١٣٦

جرأة كتاب الغرب الذين يُعامل مع نصوصهم معاملة النصوص المقدسة في العرب وهم على قدر هذا الجهل، أم أغبياء إلى درجة أنهم ينتسبون إلى القرآن ما لا فيه علما بأن القرآن الكريم يتم حفظه من الغلاف إلى الغلاف في البلاد العربية ويستطيع أي طالب صغير أن يكتشف خيانتهم هذه. ومن الممكن أن يستغرب القارئ على وسعت نظر غادة السمان في القرآن الكريم ومعرفة ما فيه وما ليس فيه فيجب أن يُذكر هنا أن غادة السمان كانت تحفظ القرآن الكريم في طفولتها حتى أكملت حفظه على ظهر قلبها[١]. وكذلك يطاول المصنف الغربي لسانه على الأحاديث النبوية الشريفة وينتسب إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كلاما ما لا يليق بحضرته والكاتبة لا تقبل تطاول المصنف الغربي على الأحاديث النبوية الشريفة ولا تقبل تطاوله إلى الآيات القرآنية وتقول بأسلوبها الجريء:

> "والمؤلف لا يخجل من اختلاق آيات قرآنية لا وجود لها. ففي معرض حديثه عن الجمل (الصفحة ٢٩ إلى ٣٤) يدعي أن القرآن يقول "الجمل حيوان الله المفضل" و"وأهم شيء للمسلم هو اقتناء قطيع من الجمال" و "من يطعم جمله طعاما نظيفا وجيدا يسجل الله اسمه ويسجل له حسنات بعدد قشات التبن التي أطعمها لجمله" و"من يحرم جملا وصاحبه من شربة ماء حرم رحمة الله يوم القيامة". ويتطاول أيضا على الأحاديث النبوية فينسب إلى الرسول قوله "من حفر بئرا كوفئ عليها بعدد الجمال التي شربت منها" [٢]

الرد العقلاني على سفاهة الكاتبين

حاول المصنف الغربي تشويه صورة العالم الإسلامي والعالم العربي قدر ما

---

١ السمان غادة، القتيلة تستجوب القبيلة، ص ٨٩

٢ السمان غادة، صفارة إنذار داخل رأسي، ص١٣٥

استطاع محاولته، ولم يكتف بانتساب الأحاديث الموضوعة إلى النبي عليه الصلاة والسلام فحسب بل حاول تحريف الحقائق التاريخية أيضا، ففي كتابه هذا ادعى أن العرب لا يعرفون عن النظافة شيء وهم لا يهتمون بالنظافة ولا توجد المراحيض والحمامات لديهم. وهنا تعاقبت غادة السمان المؤلف قائلة:

"السؤال الذي يجب أن يطرح عليه: ألم يسمع بالوضوء وبالاغتسال الإسلامي؟ وبصفته أوروبيا فرنسيا ألم يزر قصر فرساي وبقية القصور حيث كان يعيش ملوك فرنسا، ويكتشف أنها تخلو تماما من الحمامات والمراحيض، وكذلك قصر شون برن لأباطرة النمسا، وأن الغرب نقل الحمامات عن الشرق وكان يجهلها"[١]

ومن ردها هذا يتجلى شخصيتها ككاتبة ماهرة التي تعرف سرد الحقائق في إطار أدبي، حين ندقق في العبارة " ألم يسمع بالوضوء والاغتسال الإسلامي" فنشعر بأن الكاتبة نجحت في رد على اتهاماته الكاذبة بطريقة علمية دون أن تضحي باللون الأدبي الرشيق. ومن ثم يتجلى شخصيتها كعالمة تاريخية التي تعرف عن الحضارة الفرنسية وعن تاريخها وقصورها معرفة واسعة، ومن هنا يظهر صفات كاتب المقالة النقدية الذي يطرح المسائل بالموضوعية ويدعم آرائه بالبراهين القاطعة. وخلاصة القول إن الكاتبة عرضت الموضوع بنواحيها المختلفة وعالجته معالجة شاملة.

خاتمة المقالة

تحتل خاتمة المقالة مكانة مرموقة في المقالات النقدية فهي تحتوي على النتيجة الأصيلة التي يصل إليها الكاتب خلال دراسة المقالة كما يظهر فيها شخصية الكاتب واتجاهه نحو الموضوع ومواقفه. ومن الضروري أن يختار الكلمات المناسبة لخاتمة المقالة حتى يقدم خلاصة فكره وعصارته بطريقة سهلة مفهومة. وحينما ننظر إلى

---

١ السمان غادة، صفارة إنذار داخل رأسي ص١٣٤

مقالة غادة السمان فنلاحظ أنها أبدعت في تقديم آرائها المبدعة ومواقفها الصارمة. قسمت خاتمة المقالة إلى قسمين؛ قسم تدعو الشعب العربي إلى قراءة هذين الكتابين، وآخر تدعو المفكرين والسادة إلى تسجيل تاريخهم بأنفسهم وفيما يلي بيانها بالتفصيل:

الدعوة إلى قراءة الكتب الأجنبية

كما أسلفنا أن غادة السمان تُعرف في الأوساط العلمية بمعالجة القضايا مباشرة دون الإشارات إليها، حتى لا يفوت الفكر الرئيسي التي تريد أن ترسلها إلى القارئ، كما تُعرف بجرأتها في التعبير وانتخاب الكلمات القوية التي تثير الثورة والغضب في آن واحد[١]، ونرى أسلوبها هذا في مقالتها هذه ولاسيما في خاتمة المقالة حيث تدعو القارئ العربي إلى مطالعة الكتب الأجنبية حتى يتطلع على مؤامرات الغرب ضد العرب وهي تصرح أنها لا تريد أن يتم حظر هذه الكتب في البلاد العربية بل يتم توزيعها في المكتبات العربية والمحلات والمتاجر وعلى عامة الناس حتى يستيقظ الشعب ويعرف العدو قبل فوات آوانه، ويقف الشعب العربي ضد مؤامرات الغرب فردا وجماعة.

الدعوة إلى تسجيل التاريخ العربي

مر بنا أن الكاتبة ناقشت في عرض المقالة أن كُتاب الغرب يحاولون محاولات خطيرة لأجل تشويه سمعة العرب وتاريخهم وتقاليدهم ومقدساتهم ويسعون إليها سعيا خبيثا وفي خاتمة المقالة هي تطرح سؤالا على القارئ العربي سائلة كيف ينجح كتاب الغرب في تشويه صورتنا في العالم أليس نحن الذين يمنحون لهم الفرص ليفعلوا بنا ما يشاؤون؟ لماذا يكتب كتاب الغرب عن تاريخنا وعن ثقافتنا وعن تقاليدنا؟ لماذا لا نقوم نحن بكتابة تاريخنا بأنفسنا حتى لا نمنح لهم الفرصة

---

١ الأرناؤوط عبد اللطيف، غادة السمان ومسيرتها الثقافية والإبداعية، ص١٤٤

ليشوحوا صورتنا على الصعيد العالمي؟ وهي تعتقد أن من مسؤوليات الحكام أن يؤسسوا المطابع والمكتبات حيث يصدر الكتب والدوائر المعارف والألبومات عن تاريخ العرب وآدابهم وثقافتهم ووطنهم وفي تفاعلها الحماسي تقول:

"ومتى نتولى نحن إصدار "الألبومات" والكتابة عن أرضنا وتاريخنا، وحتام ننفق الأموال على السلاح الحربي ناسين السلاح الفكري[١]

شكل المقالة

تحتوي هذه المقالة على عنوان ومقدمة وعرض وخاتمة كما عين أصحاب فن المقالة شكل المقالة الفنية. من المعلوم أن عنوان المقالة جزء هام في المقالة الفنية فهو لافتها ويجب أن يكون قصيرا وجامعا حتى يلفت انتباه القارئ، وإذا ننظر إلى عنوان المقالة" فضيحة البروفيسور الذي أعاد كتابة القرآن على هواه" فنجده عنوانا مثيرا للاهتمام ومليء بالرمز، وتثير الفضول، ويخاطب العاطفة وربما اختارت الكاتبة هذا العنوان لأنها كانت تعرف أن الشعب العربي لا يسمحون بفعل ذلك لميلهم القوي واعتقادهم الراسخ على كتاب الله العزيز، وحينما نغوص في عرض المقالة فنكتشف أن الكاتب لم يقم بإعادة كتابة القرآن الكريم حرفيا بل نسب إليه ما ليس فيه ورمزت الكاتبة فعله هذه على تحريف القرآن الكريم وإعادة كتابته وفعلت هذا ليلفت انتباه القارئ ونجت فيه، ومن هنا نكتشف اختيار الكاتبة الدقيقة لعناوين لمقالاتها الصحفية ولكن ما يزعجنا في عنوان هذه المقالة هي استخدام كلمة "بروفيسور" الذي يذهب ببعض جمال عن المقالة. ترجمت الكاتبة كلمة "بروفيسور" من كلمة إنجليزية"professor مباشرة، وثمة ترجمة أفضلوا أحسن لكلمة "بروفيسور" في لغتنا العربية وهي كلمة "أستاذ"، ومن الممكن أن يقال أن كلمة بروفيسور أكثر شيوعا في

---

١ السمان غادة، صفارة إنذار داخل رأسي، ص ١٣٧

العالم العربي وسرعان ما يقرئه القارئ يفهم أن الكاتب أم الكاتبة تعني الأساتذة الذين يدرسون في الجامعات فهذه الكلمة أقرب إلى فهم القارئ، ويمكن أن يكون الأمر هكذا ولكن لا يُتوقع من كاتبة عظيمة كغادة السمان أن تهمل لغتها الأصيلة لجلب الانتباه القارئ فهي بهذه الطريقة تدعو إلى التغريب وإن كانت مقالتها موجهة ضد الغربية أصلا، إذ كان من مسؤولية السادة محافظة التاريخ العربي فمن واجبات الأدباء صيانة اللغة العربية حتى لا يتم تشويه ثقافتنا فلغة القوم جزء من ثقافتهم.

تحتوي مقدمة المقالة على ثلاث فقرات قصيرة حيث تحكي الكاتبة كيف وقعت عينها على الكتابين وأين اشترتهما وتتحدث عنهما في المقالة وتقدم الفكرة الرئيسية التي أصبحت موضوع المقالة بعد ذلك، ولاحظنا أن الكاتبة انتقلت من المقدمة إلى العرض بطريقة مبتكرة التي لا توصف. ومن الممكن أن نرفع الشبهة هنا: كيف استطعت الكاتبة أن تكتب مقدمة مقالتها في ثلاث فقرات والقوانين فن المقالة لا تسمح بذلك والحقيقة أن شكل المقالة تختلف عن الأخرى من حيث الأنواع؛ لا يمكن أن يكون شكل المقالة العلمية كشكل المقالة الأدبية وإن كان في كليهما وجود المقدمة والعرض والخاتمة، ولا يمكن أن يكون التشابه التام بين المقالة السياسية والمقالة الأكاديمية في الشكل، الحق أن المقالات - شاملة لجميع أصنافها- تتكون على المقدمة والعرض والخاتمة وتختلف المقدمات والعروض والخواتيم فيها. وإذا ندرس مقالة غادة السمان هذه فهي ليست إلا عمودا كتبت لجريدة أسبوعية ولا غير، ويجوز لكاتب العمود أن يسلك طريقا يناسب موضوع المقالة. أما عرض المقالة فيحتوي على ٨ فقرات تعالج في ٤ موضوعات الكتاب الأول و٤ أخرى موضوعات الكتاب الثاني ونرى ربطا ونظما في العرض حيث تنتقل الكاتبة من فقرة إلى أخرى بكمال الضبط والربط، وهذا يضيف جمال المقالة فنا وأسلوبا. أما الخاتمة فتحتوي على ٣ فقرات تلخص فيها الكاتبة المقالة وتدعو القارئ إلى قراءة هذين الكتابين وتحث السادة على اتخاذ القرارات والخطوات الجادة نحو المستقبل المشرق.

لغة المقالة

كل من يعرف غادة السمان ويطالع كتبها يعترف بجرأتها في التعبير ومعالجتها القضايا معالجة مباشرة وكأنها تتحدث مع القارئ وجها لوجه، وجرأتها هذه لا تغيم على ترسلها اللغوي ومهارتها البلاغي، بل لغتها تخاطب العقل والعاطفة معا، وذلك لأنها تمزج بين الخطاب العاطفي والبيان المنطقي الذي يجبر القارئ على التفكير ويثير مشاعر القارئ وانفعالاته، ونلاحظ نفس اللغة في هذه المقالة حيث ترد أفكار بروفيسور بشواهد تاريخية والبراهين القاطعة بأسلوب علمي دقيق، ومن طرف آخر تدعو العرب إلى حفظ مقدساتهم وتاريخهم بلغة عاطفية، وبهذه الطريقة تمزج بين اللغة العاطفية واللغة المنطقية لتخاطب عقل قارئه وقلبه. ومن خصائص هذه المقالة انتخاب الأساليب الملائمة لمعالجة القضايا المختلفة، إذ تستخدم الكاتبة أسلوب الجدل في الفقرة وأسلوب الإرشاد في فقرة أخرى وذاك حسب الاحتياج المعنوي. ومن هنا نرى أن الكاتبة ابتكرت في تقديم الخاتمة الوجيزة الجامعة التي تحيط بموضوع المقالة من أطرافها كلها كما قدمت حلولا مرضية لمواجهة الهجوم الهمجية الغربية كما تتجلى شخصيتها فيها.

الخاتمة

بعد دراسة شاملة للمقالة " فضيحة البروفيسور الذي أعاد كتابة القرآن الكريم على هواه" اكتشف لنا أن الكاتبة استخدمت الشكل المناسب لهذه المقالة حيث قدمت الفكرة الرئيسية في المقدمة، وناقشت محتوى الكتابين في عرض المقالة شرحا وافيا، وانتقدت الكاتبين الغربين على عدم إنصافهما في سرد الأحداث، وأخذتهما أخذا شديدا على هجومهما على البلاد العربية والهجوم على تاريخهم، وفي خاتمة المقالة خاطبت الشعب العربي والسادة على اتخاذ خطوات عملية ضد هجوم الغرب الفكرية. واكتشف لنا أيضا أن الكاتبة استخدمت عنوانا جذابا للمقالة غير أنها استخدمت الكلمة " البروفيسور" الذي لا نرى استخدامها مناسبا لعنوان المقالة،

وعرضت مقدمة المقالة في ثلاث فقرات كما عرضت خاتمة المقالة في ثلاث فقرات ولا نرى فيه بأسا. باختصار نجحت الكاتبة في تقديم المقالة النقدية التي تحمل رسالة حية للشعب العربي.

المصادروالمراجع

١. غادة السمان، صفارة إنذار داخل رأسي، منشورات غادة السمان، بيروت، ١٩٨٠
٢. غادة السمان، القتيلة تستجوب القبيلة، منشورات غادة السمان، بيروت، ١٩٩٠
٣. عبد اللطيف الأرناؤوط، غادة السمان ومسيرتها الثقافية والإبداعية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، ٢٠١٣
٤. حنان عواد، قضايا عربية في أدب غادة السمان، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، ١٩٨٩
٥. عبد اللطيف جواحي، القضايا النقدية في كتاب الديوان وأثرها في الحركة النقدية الحديثة، رسالة ماجستير، جامعة قاصدي مرباح ورقلة، ٢٠١٤.
٦. فرح عبد الغني وإشراق الدهون، خصائص المقال النقدي، ٢٠٢٤\٠٦\٠٩
٧. https://mawdoo3.com/%D8%AE%D8%B5%D8%A7%D8%A6%D8%B5_%D8%A7%D9%84%D9%85%D9%82%D8%A7%D9%84_%D8%A7%D9%84%D9%86%D9%82%D8%AF%D9%8A
٨. أبو ذكرى مرسي، المقال وتطوره في الأدب المعاصر، دار المعارف، ١٩٨٢.
٩. محمد ريم، خصائص المقال النقدي، ٢٠٢٤\٠٨\١٥
١٠. https://www.almrsal.com/post/1148684